المبحث الأول
الفكر الدينى المعاصر

الفكر الدينى المعاصر أصابه ترهل وتخمة وعسر فهم، لعوامل عديدة أهمها:

التقليد المطلق

سببه الإغلاق الفعلى لباب الاجتهاد، فصار التناول لآراء تراثيين فى الأصول والفروع على السواء، فى النظريات والعمليات، وصارت العبارات التراثية أدلة فى أعمال الإفتاء الشرعى، كأنها نص شرعى منشئ للحكم التكليفى، وليست كاشفة له، ولا تخرج الدراسات العلمية فى أصول الدين والشريعة الإسلامية عن هذا المنحى. وفى تقنين قوانين «الأحوال الشخصية» وهذا مخالف للأعمال العلمية بقواعدها المعتمدة والمعتبرة.

ولمزيد من التوسع فى هذا الجانب:

تعريف التقليد فى الدين: الأخذ فيه بقول الغير مع عدم معرفة دليله أو هو العمل بقول الغير مع غير حجة[1].

ومما تقرر علميًا أن أهل التقليد ليسوا طبقة من طبقات الفقهاء، فالمقلد ليس فقيهًا، فإن الفقه ممدوح شرعًا، والتقليد مذموم كذلك، وهو فى الحقيقة نوع من التقصير[2].

---

(١) شرح مسلم الثبوت ١ / ١٠.

(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية ١٣ / ١٥٩ وما بعدها.

وكثر الكلام فى حكم التقليد فى العقائد، والفروع، ومن يجوز تقليده ومن يجوز له التقليد، وتقليد المذاهب، وأثر العمل بالتقليد الصحيح، وإفتاء المقلد، وقضاء المقلد، وما يفعله المقلد إذا تغير الاجتهاد[1].

التعصب المذهبى

ومن عواقب التقليد: التعصب المذهبى لمدارس أهمها:

فى العقيدة: الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة والوهابية والإمامية..

فى الفقه: السنية: الحنفية، المالكية، الشافعية، الحنابلة، الظاهرية.

الشيعة: الجعفرية، الزيدية.

الإباضية: .... إلخ.

وتطور التعصب المذهبى إلى «طائفية مجتمعية» أهمها:

- الشيعة الإمامية الجعفرية (إيران، العراق، لبنان... إلخ).
- الشيعة الزيدية (اليمن).
- الإباضية (سلطنة عُمان).
- السنة (عدا من ذكر).

مع التقليد والتعصب لما فى داخل كل مذهب وتيارات ومرجعيات مثل ما فى المذهب السنى: أشاعرة، طرق صوفية، فرق سلفية.... جماعات عنف فكرى وأخرى مسلح....!!

وحصر وقصر (الإسلام الدين) فى «المذهب والتيار»، ومنتج هذا إحياء وبعث لعنف فكرى متمثل فى (التكفير) و (التفسيق) و (التجهيل)،

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية ١٣ / ١٥٤ وما بعدها.

ويظهـر هـذا واضحًا فى أطروحات «السـلفية» ضد عموم المسـلمين من أشاعرة وشيعة وإباضية، وما بين «سنة وشيعة» و «سنة وسنة» و «شيعة وشيعة».

وأنتج العنف الفكرى جماعات العنف المسلح مثل:

جماعة الإخوان، السلفية الجهادية بفصائلها... إلخ.

وكلها لها أدبيات ومرجعيات وتوجهات.

وتأسيسًا على ما ذكر: التقليد المطلق أنتج المذهبية العلمية، وهى أفرخت الطائفية المجتمعية، ومعظمها يمارس العنف الفكرى وحده (تكفير، تشريك، تفسيق، تجهيل...)، أو المسلح (استحلال الدماء والأعراض والأموال)!!.

ومن آثار (التقليد المطلق) الشغب على آراء باحثين فى (قضايا فكرية) و (قضايـا فقهية معاصرة) ورمـى قائليها بكل نقيصة ومذمة، ويظهر هذا جليًا فى مسائل معاملات معاصرة أفتى فيها علماء أعلام أمثال: أصحاب الفضيلة الشـيخ محمد شلتوت، الشيخ محمد الغزالى، الشيخ أحمد حسن الباقورى، الشيخ عطية صقر، الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوى، والشيخ الدكتور على جمعة، وكاتب هذه السطور وغيرهم!!.

ومن ظواهر التقليـد الأعمى العكوف على «موروثات» صارت أصنامًا فكرية تتبع دون إعمال لأى منكر.

موروثات ومراجعات تراثية

نهج العقلاء الأسوياء قبول «الحق» والرجوع إليه، وعدم التمادى فى «باطل» العكوف عليه، وسير أصحاب «الأهواء» إعلاء «الهوى» على حساب الحق، وتلك آفة مهلكة، قال الله - ﷻ -:

﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾[1].

المذهبية العقائدية والفقهية السياسية أخرجت دعاة سوء يسوقون العوام وأشباه المتعلمين إلى العكوف على مبادئ (تتلى عليهم بكرة وأصيلا) موروثات لا تقبل إعمال فكر ولا إحالة نظر، وأى تناول لها يعد خروجًا ومروقًا، وربما كفرًا وشركًا!، وجعلوا مقلديهم آلات تدار، وبهائم تجرّ! وهذا يناقض ويناهض صحيح الدين والفكر والعقل!.

حقائق يجب التنبيه عليها والتنويه بها لفك عقول من أغلال وقيود الأسر «التلقينى» لتأخذ من صحيح الماضى عظة ومن الحاضر انطلاقا!، فمن ذلك:

أولا: الموروثات التاريخية بحاجة إلى قراءة واعية منصفة، لاسيما والتاريخ الإسلامى لم يكتب فى معظمه فى عصر مؤرخيه، بل فى عصور تالية حكمها السياسى مناهض لما قبله، فتاريخ سادتنا الصحابة - ﷺ - لم يكتب فى عهدهم، والفترة الأموية كذلك والعباسية، من هنا فقدت الحيادية والموضوعية وبالمثال يتضح المقال:

١ - سادتنا آل البيت النبوى المحمدى - ﷺ -، والصحابة -

(١) الآية ٤٣ من سورة الفرقان.

ﷺ – بشر لهم وعليهم لأن العصمة للأنبياء والرسل – عليهم السلام – فقط، نذكر محاسنهم ونقتدى بها. ونتجاوز عن سيئاتهم ونعذرهم فيها، إلا أن الواقع السائد غير هذا، فالشيعة يقررون عصمة آل البيت كالأنبياء ! نظريًا وواقعيًا. ومقابلهم «السنة» (مصطلح سياسى مذهبى لا يعتقدون فى المجال النظرى، ويقررون فى الواقع العملى قداسة الصحابة! ويتم تجييش الأتباع. الأئمة قالوا وعملوا، الصحابة قالوا وعملوا!، وصارت الأمة منكفئة على حقبات تاريخية لأفكار بعينها بخيرها وشرها وصوابها وخطأها.

• التوقير لسادتنا آل البيت وسادتنا الصحابة – ﷺ – واجب ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1]، ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾[2]، ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[3]، ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[4].

• التوقير لا التقديس!، فهم مجتمع بشرى فيه كمالات ونقائص، إيجابيات وسلبيات، وهم مجتهدون – صوابا أو خطئا – وليسوا بمشرعين بحال من الأحوال، فالتشريع حق لله – عز وجل – وليس لأحد سواه.

---

(١) الآية ٢٣ من سورة الشورى.

(٢) الآية ٧٣ من سورة هود.

(٣) الآية ١٠٠ من سورة التوبة.

(٤) الآية ١٠ من سورة الحشر.

٢ – أحداث تحتاج لإعمال فكر لتنقية الموروثات من دخيل على الأصيل منها:

• موضوع «الخلافة» عند «السنة» و «الإباضية»، و «الإمامة عند الشيعة» عمل «دعوى» فى المقام الأول، وليست أصلا من أصول الإسلام، يحكم به بإيمان أو كفر أو توحيد وشرك، أو اتباع وابتداع.

وهذا العمل الدعوى لا ينافى الأخذ بنظم إسلامية فى مجالات تنظيم المجتمع لا رسم حياته فى أموره الحياتية والمعيشة الاجتماعية والاقتصادية وقد وجد فى التاريخ الإسلامى خلافة دون سلطة، وسلطة دون خلافة!..

ولذلك يتخذ الشيعة مسألة «دولة الإمامة» والسنة «دولة الخلافة» بناء على رؤى تخص كليهما وسيلة للتجنيد والتجييش وإلهاب مشاعر العوام – وهم كثر – !، على خلاف الواقع العلمى السليم.

٣ – منع بعض الصحابة – رضى الله عنهم – النبى – ﷺ – من أن يكتب كتابًا قبيل وفاته يحدد لهم ما يغنيهم من الاختلاف: روى عبد الله بن عباس – رضى الله عنهما –: لما حضر رسول الله – ﷺ – وفى بيته رجال، قال: هلموا أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده، فقال بعضهم: إن رسول الله – ﷺ – قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال – ﷺ – «قوموا»، قال ابن عباس – رضى الله عنهما –: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله – ﷺ – وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم[1].

(١) أخرجه البخارى فى المغازى رقم ٤٤٣٢، وباب مرض النبى – ﷺ – ووفاته ٥ / ١٣٨.

لـو كتب هـذا الكتاب - والله ورسـوله أعلم بما كان سـيكتب فيه - ألا يغنى المسـلمين عن الخلاف فى الخلافة فى بدئها (سـقيفة بنى ساعدة) ونهايتها (صفين والنهروان وكربلاء) وهذه قواصم ما فوقها قواصم وعواصف ما بعدها عواصف!.

٤ - تنـازل الإمـام الحسـن بن علـى - رضي الله عنهما - عن الخلافـة طواعية لمعاويـة - رضي الله عنه - تحقيقًا لنبوءة رسـول الله - ﷺ - «ابنى هذا سـيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسـلمين»[1]، فهل يذكر لدى «السـنة والجماعة والإباضيـة» على أنه «خليفة» وعليه فالخلفاء الراشـدون خمسة أو سـتة إذا أضافوا عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - ألا يحتاج الأمر إلى مراجعة؟ ومحاولة للفهم السليم؟ أم موروثات «مقدسات»؟.

٥ - المركز القانونى لمعاوية - رضي الله عنه - بعد مقتل الخليفة سـيدنا عثمان - رضي الله عنه - هل يسـتمر «واليًا»؟ ورفضه لبيعة سـيدنا على - رضي الله عنه - بم يسـمى الرفـض - مهما كانت مبرراتـه -؟ وما حقيقة قرار الحكمين فى النزاع بين سيدنا على - رضي الله عنه - ومعاوية - رضي الله عنه -؟ وما منشـأ النزاع وتكييفه الشرعى؟ لأن قرار الحكمين من الأهمية بمكان فى التاريخ الإسـلامى لأن الصورة الشـائعة بسببه ظهرت بوادر الانقسام بظهور فرقة «الخوارج» إن صحت التسمية، وقابلها «الشـيعة» كاتجاه مضاد، وما تبع ذلك من انقسـامات طائفية من آثار «صفين»: شـيعة، خوارج مرجئة، سـنة وجماعة؟ وهل قرار

(١) رواه البخارى فى فضائل الصحابة باب مناقب الحسن والحسين: فتح البارى ٧ / ١١٩، رقم ٣٧٤٦.

الحكمين فى «الخلافة» أم فى القصاص من قتلة عثمان؟! ألا تحتاج المرويات التاريخية للنقد الموضوعى لإجلاء حقائق[1].

٦ - مرويات وأحكام فى فقه آل البيت أو الجعفرى للشيعة هل تنسب إلى الإمام على - رضي الله عنه - من عينة: نكاح المتعة، عصمة الأئمة، خمس الزكاة للأئمة، ذكره فى الآذان والإقامة والصلاة، حكم صلاة الجمعة، صفة الوضوء إلخ، أم أنها اجتهادات نسبت إلى الإمام على، على غير الحقيقة؟ ومرويات معلولة تعج بها كتب الفقه المذهبى ينقدها باحثون فى الفقه المقارن، ألا تحتاج لجهود جبارة للتنقية والتصويب؟

٧ - هل آراء المدرسة الحنبلية الأولى (الإمام أحمد وابن تيمية - رحمهما الله تعالى -، وآراء الوهابيين (الشيخ محمد بن عبد الوهاب - غفر الله له - فى قوة الأحاديث النبوية فتوصف بأنها «سنة» وأنها نهج صدر الأمة من الصحابة بأنها «سلف» مثل: التقسيم الثلاثى للتوحيد إسكان الله - ﷻ - فى حيز له مسافة ومساحة (السماء)، إجراء ألفاظ موهمة للتشبيه بالمخلوق كتفويض معين لا تفويض مطلق إلى غير ذلك من (عقيدة سلفية) هل يصح فى العمل العلمى السليم نسبتها إلى السنة والصحابة؟

• أمور ينبغى فهمها سليمًا فى موروثات عليها منكفئون أساءوا فهم الإسلام وأساءوا عرضه، ونحن أولاء فى عالم معاصر، تجتاحنا مذهبيات كل يحصر الإسلام عليه وحده ويبرأ من الآخر (السنة

(١) النظم السياسية - بتصرف -.

والشـيعة والإباضية حاليًا). وفى داخل كل مذهب مذهبيات أخرى (شـيعة إمامية وزيدية، سنة: متسـلفة، دعوية وحركية وجهادية، ومدخلية ومباركية،.... إلخ)؛ (ما يزيد على خمسـين سلفية حاليًا، وأشاعرة، وبقايا معتزلة ومتصوفة...) (وكل حزب بما لديهم فرحون) وانضم الإخوان القطبيون) لحلبة الوهابية!!. متى الموضوعية والواقعية لبعث إسـلام بلا فرق؟! من لإسـلام بلا مذاهب؟ من لفكر إسـلامى حيـادى يعيد الأمور إلى نصابها الصحيح وسـياقها السـليم وإطارها الحقيقى دون مزايدة؟ لعوادى السياسة وأكدار المذهبية؟

٨ - اصطلاحات المذاهب ودلالتها ألا تحتاج لإعادة نظر؟ هل المتنعون عن بيعة سـيدنا على - رضي الله عنه - من أهل الشـام ليسـوا بخوارج، ويوصـف الذيـن كانوا مع الإمـام على إلى قبولـه التحكيم - الذى يحتاج إلى فهم سـليم وليس كالشـائع - بأنهم خوارج؟ ويدعى من كان معه أنهم فيما بعد شـيعة - وأن الخارجين من أهل الشام فيما بعد سنة وجماعة؟

٩ - اتهامات تنقيص الصحابة وآل البيت وقع فيها الكل دون اسـتثناء من الذين سـبوا الإمام عليا - رضي الله عنه - على المنابر نهاية خطبة كل جمعـة بالدعوة والتأمين على (اللعن)؟ وهـم أيضًا من سـموا الإمام الحسن وسـحلوا الإمام الحسين - رضي الله عنهما - ومن الذين يسبون معظم الصحابـة - حاليًا؟ ومن ينتقص بعضهم؟ الدولة الأموية إن وصفت (سياسيًا) «سنة وجماعة»!!؛ والشيعة الإمامية، والمذهب الإباضى، كلهم مارسـوا هذه الجريمة النكراء دون استثناء، والوقائع والشواهد

موثقة. بالإضافة لتبنى المتسلفة الوهابية تكفير والديه سيدنا عبد الله وسيدتنا آمنة - عليهما السلام -!! وإيذاء النبى - ﷺ - فى أصليه!!.

- هل محبة آل البيت حكر على الشيعة؟! وهل إذا أثنى عليهم مسلم يتهم من قبل غلاة أنه «شيعى»؟
- هل أى نقد علمى موضوعى لمواقف بعض الصحابة وبعض آل البيت تعد كفرًا وشركًا؟
- هل عندنا كهنوت (آل البيت) والكيروسى (صحابة)؟
- هل إيذاء الشيعى للسنى قربة من القربات؟ هل تقارب الشيعة مع السنة يهدد الإسلام؟.
- إلى متى تبادل قذائف التكفير؟ وإلى متى التمزق بين (سنة) بفصائلها، وشيعة بفرقها، وإباضية برموزها؟

❑❑❑

مسيئون للدين

- بعض الشيعة آثمون لجرأتهم على أكابر سادتنا صحابة مولانا رسول الله - ﷺ - ووقاحتهم بحق كبريات سيداتنا أمهات المؤمنين - رضى الله عنهن - وقد قال الله - ﷻ - : ﴿وَالسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[1]، ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾[2].
- السلفية الوهابية مخطئون لوقاحتهم على طهارة نسب سيدنا رسول الله - ﷺ - لاعتقادهم أنه - حاشاه - «ابن كافر وابن كافرة» وقد قال الله - تعالى - ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[3]، ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[4].
- الأمويون مجرمون بحق سيدنا على - رضي الله عنه - للعنهم له على المنابر فى خطب الجمع حتى عهد سيدنا عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - الذى استبدل اللعن بقول الله - تبارك وتعالى -:

---

(١) الآية ١٠٠ من سورة التوبة.
(٢) الآية ٣٤ من سورة الأحزاب.
(٣) الآية ١٥ من سورة الإسراء.
(٤) الآية ٢١٩ من سورة الشعراء.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1]،

وبحق عترة سيدنا رسول الله - ﷺ - لقتلهم سيدنا الحسن بالسم تسببًا، وسيدنا الحسين مباشرة - رضي الله عنهما - وغيرهم من سادتنا آل البيت النبوى المحمدى - رضي الله عنهم -.

- الخوارج مجرمون بحق سيدنا على - رضي الله عنه - لقتلهم له، ابتدعوا تكفير المسلمين، وأحفادهم - حاليًا - مستحلون للدماء والأعراض والأموال، حملة التكفير ومرتكبو جرائم الصيال والحرابة والبغى!.
- مؤامرات القتلة المارقين بحق الخليفتين سيدينا عمر وعثمان - رضي الله عنهما - لأوهى الأسباب!.
- مطاردة عبّاد كراسى السياسة لسادتنا آل البيت - رضي الله عنهم - ومنعهم حقوقهم الثابتة فى التشريع الإسلامى.
- التدابر والتناحر، التقاطع والتباغض، الحكم بالكفر والشرك والفسق والبدعة، وقذائف التنابز بألقاب التنقيص بفعل التفرق والتعصب والتمذهب، قواسم مشتركة بين تيارات عقائدية إلا ما رحم ربك! والسياسة (الإسلامية) تجاوزًا.
- الحياد عن النهج الأخلاقى «أشداء على الكفار رحماء بينهم» إلى نقيضه «ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب» فلم تسلم ألسنة ولا أيادى إلا من رحم ربك!

فمن يلم شعثها ويسعى لجبر خللها ويصلح ذات ما بين مسلمين.

---

(١) الآية ٩٠ من سورة النحل.

- التعصب الطائفي: من عوار التقليد - على نحو ما ذكر - نشوء جماعات منسوبة إلى الدين الحق، وهذه الكيانات الطائفية محرمة في الكيان الاجتماعي، قال الله - ﷻ -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾[1]، ﴿أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾[2]، ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[3]، ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾[4]، وقال رسول الله - ﷺ -: [سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، اعتزل تلك الفرق ولئن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت][5].

❑❑❑

(١) الآية ١٥٩ من سورة الأنعام.

(٢) الآية ١٣ من سورة الشورى.

(٣) الآية ١٠٣ من سورة آل عمران.

(٤) الآية ٩٢ من سورة الأنبياء.

(٥) صحيح الإمام مسلم وأصله صحيح البخاري.

لمن الاتباع والنصرة؟!

«الرجـال يعرفـون بالحق، ولا يعرف الحق بالرجـال» حكمة بالغة من التراث الإسـلامى الموروث، والمرجعية الحقيقية كتاب الله - ﷻ - وهدى سيدنا محمد رسول الله - ﷺ -، والأخذ بالاجتهادات السليمة الصحيحة لأئمة العلم المعتبرين دون قداسة أو عصمة، أو تحزب وتمذهب وتعصب.

هذا هو المنهج الإسلامى الراشد، فلا سمع ولا طاعة إلا لله - ﷻ - ولرسوله - ﷺ -، ولا احتكام ولا موالاة إلا لهما، أما الاتباع والنصرة لغيرهما فخروج ومروق وجنوح وشطط وعوار وخلل، نبه ونوه أئمة العلم علـى فسـاد ذلك فمن ذلك: ابن تيمية وكان ممـا قاله: «ليس لأحد أن ينصب للأمة شـخصًا أو كلامًا يفرقون به بـين الأمة» يوالون على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون[1] وقال[2] لا يجوز لأحد أن يجعل الأصل فى الدين لشخص إلا لرسول الله ولا لقول إلا لكتاب الله ﷻ ومن نصب شـخصًا كائنًا من كان فوالى وعادى علـى موافقته فى القول والفعل فهو «مـن الذين فرقوا دينهم وكانوا شـيعًا» وإذا تفقه الرجل وتأدب بطريقة قـوم من المؤمنين مثل اتباع الأئمة والمشـايخ فليـس له أن يجعل قدوته وأصحابـه هم العيار، فيـوالى من وافقهم ويعادى مـن خالفهم.. إلى أن

(١) درء تعارض العقل والنقل ١ / ٢٧٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٠ / ٨، ٩.

قال: «لا يخلو أمر الداعى من أمرين، الأول: أن يكون مجتهدًا أو مقلدًا فالمجتهد ينظر فى تصانيف المتقدمين من القرون الثلاثة ثم يرجح ما ينبغى ترجيحه، الثانى: المقلد يقلد السلف إذ القرون أفضل مما بعدها فإذا تبين هذا فنقول كما أمرنا ربنا: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾[1] ونأمر بما أمرنا به وننهى عما نهانا عنه فى نص كتابه وعلى لسان رسوله كما قال تعالى ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ فمبنى أحكام هذا الدين ثلاثة أقسام الكتاب والسنة والإجماع.

آن الأوان لخلع أغلال التقليد الأعمى، والانتماء تحت راية عمياء والدعوة لعصبة، والنصرة لعصبة - كما فى التحذير النبوى المحمدى، آن الأوان لإعمال جوهرة العقل (يتدبرون، يتفكرون) فلسنا بهائم تجر، أو آلات تدار، بل لنا عقول نفكر بها.

نظرات فى مصطلح «أهل السنة والجماعة»

مصطلح «أهل السنة والجماعة» تتعدد وتتنوع النظرة إليه من جهة عمومه أو خصوصه، وهل هو مصطلح علمى أو سياسى؟.

يرى الإمام محمد عبده[2]، وتابعه دكتور مصطفى الشكعة أن عبارة «أهل السنة والجماعة» مذهب فى علم الكلام مبعثه نصرة كبار علماء هذا العلم للإمام أبى الحسن الأشعرى - رحمه الله تعالى - منهم

---

(١) الآية ١٣٧ من سورة البقرة.

(٢) رسالة التوحيد للإمام محمد عبده، ص ١٩.

أبو بكر الباقلانـــى، وإمام الحرمين، والإســفرانينى - رحمهم الله تعالى - أى أن المصطلــح صار يطلق على جماعة الأشــاعرة ومن نحا نحوهم، ثم اتســعت دائرته فشملت أصحاب المذاهب والفقهاء: أبا حنيفة ومالكا والشــافعى وابن حنبل والأوزاعى وغيرهم، وعليه فمصطلح «أهل السنة» فى مقابل جماعة «المعتزلة» فى الآراء الاعتقادية، ومقابل الفقه الشــيعى مثل: الجعفرى والزيدى، والفقه الإباضى، ويتنوع المصطلح داخل «أهل الســنة» ليشمل: أهل (مدرســة الحديث بالحجاز، وأهل مدرسة الرأى بالعراق)، ومن يجتهد بوسائل الإجماع والقياس كالأئمة الأربعة المتبوعين المشهورين، وأئمة الفقه الشيعى والإباضى حسب تفاصيل لا يتسع المقام لذكرها، ومن يقف عند ظواهر النصوص كالظاهرية.

ويشــمل المصطلح «أهل الســنة» الحنابلة فى القرن السابع الهجرى حيث أطلق عليهم أو هم أطلقوا على أنفســهم «سلفية» فى مقابل الشيعة والخوارج والمرجئة والأشاعرة والماتريدية فى قضايا عقائدية، و «الوهابية» امتداد لمدرسة الحنابلة مع إحداث آراء جديدة لمنشئ المذهب محمد بن عبد الوهاب - غفر الله له[1].

نخلص مــن هذا: أن مصطلح «أهل الســنة» تتنازعه اتجاهات وفى نشأته بواعث ولكل وسائل ومقاصد:

فى العلوم الاعتقادية: يطلق على مجموع «الأشــاعرة والماتريدية» من جهة، وعلى الســلفية من جهــة أخرى، والأخيرون يقصرون المســمى عليهم وحدهم وينفونه عمن سبقهم لتكفيرهم لهم.

---

(١) فيض الخاطر ٥ / ٣٠٢.

فى العلوم الفقهية: يطلق على المذاهب الخمسة: الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية ومن وافقوهم كالليث وأبى ثور والثورى والطبرى وهو مقابل الفقه الشيعى والفقه الإباضى.

وتطلق الموسوعات المعاصرة وكتابات باحثين معاصرين مسمى «أهل السنة» على الأشاعرة والسلفية، وترفض المراجع السلفية إطلاقه على غيرها[1].

وهكذا فالمصطلح متنازع عليه من جهة، تتعدد إطلاقاته العلمية من جهة أخرى.

وفيما يتصل بالأمور السياسية:

كان من آثار معركة (صفين) - شهر صفر ٣٧ هـ - وبعدها (النهروان) انقسام المسلمين إلى طوائف «الخوارج»، «المرجئة»، «أهل السنة والجماعة»، «الشيعة» ولكل مبادئه، وما يهمنا فى الواقع المعاصر من الناحية السياسية - وشىء من العلمية - أن العالم الإسلامى به مذاهب أو اتجاهات أو كيانات هى:

١ - الشيعة الإمامية.

٢ - الشيعة الزيدية.

٣ - الإباضية.

ولهم تواجدهم الجغرافى وانتشارهم المذهبى.

وفى مقابلهم «السنة» بمذاهبها أو مدارسها وهم كما سبق.

وتبقى كلمة: المسمى الأصلى الأصيل ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[2] تنسب إلى مسمى الدين ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[3].

---

(١) الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة: ط الرياض ١٩٧٢م.

(٢) الآية الأخيرة من سورة الحج.

(٣) الآية ١٩ من سورة آل عمران.

وهـذه الإطلاقات مذهبية طائفية أوجـدت عصبيات وحزبيات تكاد تطمـس المسـمى الأصلـى والوحدة الغائبـة، والأولى حصـر وقصر هذه المسـميات فى العملية العلمية كتراث ينبغى ألا يكون مورثًا[1] ولا هوية وصبغة شرعية، بل مجرد «ثقافة» علمية ودعوية.

اغتيال العقول جريمة منكرة!

نص فقهاء الشريعة الغراء على أن العقل: القوة المتهيئة لقبول العلم، وقيل غريزة يتهيأ بها الإنسـان إلى فهم الخطاب، وقيل نور فى القلب يعرف الحسن والقبيح، والحق والباطل.

وأولت النصوص والقواعد الشرعية العقل أهمية بالغة لقدره وخطره، فهو أشـرف المعانى قدرًا، وأعظم الحواس نفعًا، به يتميز الإنسـان عن البهيمـة، ويعرف به حقائق المعلومات، ويهتدى به إلى المصالح، ويتقى بـه مـا يضره، ويدخل به فى التكاليف الشـرعية، قال الله - ﷻ -: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2].

إذا علـم هذا: فإن محاولات آثمة متعددة تصوب تجاه العقل بهدف اغتياله إما اغتيالاً كليًا ليعيش صاحبه كالبهيمة لا فكر ولا نظر ولا تدبر ولا اعتبار فيكون أشـبه - كذلك بالأدلة الجوفاء -، وإما اغتيالاً جزئيًا ليعيش صاحبه منفصلاً عن واقعه، سابحًا مع ذكريات الماضى، مستغرقًا فى آمال المستقبل فيكون هامشيًا لا قيمة له ولا وزن.

---

(١) لمزيد من التوسع: المذاهب الإسلامية، إسلام بلا مذاهب، التاريخ الإسلامى.

(٢) الآية ٢٦٩ من سورة البقرة.

الاغتيال الكلى يصدر من عبّاد اللذة الفانية، والشهوة المؤقتة، فيصير المغتال تحت تأثير الإدمان لغيبات العقل، بوسائل الإدمان المعروفة، والإدمان لممارسات الجنس الطبيعى والشاذ الحلال والحرام على السواء، والإدمان لعالم الحس فقط على حساب عالم الغيب، فلا دين ولا شرع يزجر، ولا حرمات تصد، ولا حدود تزجر!.

مرتكبو الاغتيال الكلى وأذنابهم يحيكون «فتن الداخل» وكيد الخارج ضد أنفس ما فى الإنسان عقله، وأثمن ما تملكه الأمة الشباب والاغتيال الجزئى يصدر من متبلدين جامدين مفتونين بذكريات الماضى فحسب، دون معالجة للحاضر أو تحضير للمستقبل، شغلوا الناشئة بمساحات شاسعة من بضاعة مغشوشة تنظر للجزئيات ولا تعتبر بالكليات، تنبهر بالفروع ولا تهمها الأصول! فمساحة «الحرام» أوسع بكثير من مساحة «الحلال»، وكم «اليأس» أكبر من كم «الرجاء» وقدر «المؤاخذة» أعظم من قدر «المغفرة»، جعلوا موتى من مئات السنين يحكمون أحياء الحاضر بفتاوى غريبة عجيبة، ومن ثم يسعون إلى تحسين ظاهر على حساب باطن!!.

مرتكبو الاغتيال الجزئى وأذيالهم يحيكون «فقه التشدد» ضد أشرف ما فى الإنسان تدبره ورشده، وأعظم ما يملكه المجتمع طاقاته، ليعيث «فقه البداوة» فى عالم الحضارة رده إلى الماضى المجرد عن مستحدثات الحاضر!، بالإضافة لمبدأ «السمع والطاعة» للمخلوق مطلقًا!!.

إذا كانت العقوبات السماوية وغيرها تغلظ لقاتلى البدن، فما بالنا بوأد جوهرة البدن.

هل من مستبصر ينقذ ما تبقى من العقول من تغييب وتحذير وانفصام؟ هل وهل؟! أما لازلنا نستلذ ونختر مؤامرات اغتيال العقول؟!.

الجهل بالاصطلاحات

مما يدعو إلى الغرابة والنكارة معًا، الجهل المطلق بين (أركان الإسلام) الرئيسة، و (علوم هذه الأركان)! مثل:

- ركن «الإيمان» وعلمه العقيدة والكلام.
- ركن «الإسلام» الخاص (الشريعة)، وعلمه الفقه.
- ركن «الإحسان» وعلمه الأخلاق.

فصارت علوم الأركان وهى – أى العلوم – فهم بشرى للنصوص الشرعية المتعلقة بالأركان هى الأصول للدين حسب معطيات الفرق والمذاهب!. فالكلام فى العقيدة الوهابية والأشعرية والمعتزلية والإمامية هى الشاغل الأول والأكبر والرئيسى!، وتوارى الحديث فى الركن ذاته، وصارت الأمور جدلية تدور فى مساجلات جدلية فى أمور ومدارس تراثية معظمها لا وجود لها.

الإيمانيات والعقيدة وعلم الكلام

الإيمان هو التصديق القلبى اليقينى الجازم بأمور أساسية فى مكونات الدين الحق من الإيمان بالله – ﷻ – وأنبيائه – عليهم السلام – وملائكته – عليهم السلام –، وكتبه، واليوم الآخر والقدر، على نحو

ما ورد فى آى القرآن الكريم ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾[1]، وخبر عمر - رضي الله عنه - (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله والبعث بعد الموت والقدر....)[2].

سميت أمورًا عقائدية، تلقتها الأجيال الأولى بفهم واع، وتدبر حكيم، دون خوض فى تفاصيلها، فظلت سالمة عن الجدل، بعيدة عن الخلافيات، وشغلوا بدلالة الخلق على الحق، ولم ينقل عن سيدنا رسول الله - ﷺ - الخوض فى دقائق هذه المكونات العقائدية وعلى رأسها الذات الإلهية ولا عن أصحابه ولا عن أتباعه - رضي الله عنهم - بل انصرفت الهمم إلى نشر الإيمان بالله - سبحانه - وهداية الناس وإنقاذهم من الإلحاد والإشراك، بمنهج ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾[3]، ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾[4] ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾[5]، هكذا كانت العقيدة الحقة خالصة صافية واضحة، فى عذوبة الماء وصفاء الحليب، دون كدر ولا شطط.

ثم لما حل العصر العباسى بحركته العلمية الواسعة وحصلت الترجمات ومال الناس إلى الافتراضات الجدلية فى علوم المنطق والفلسفة وما ماثلها، حل علم الكلام محل العقيدة كمكون أساسى للثقافة الإسلامية

---

(١) الآية ٢٨٥ من سورة البقرة.

(٢) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم

(٣) الآية ٥ من سورة الطارق.

(٤) الآية ٢٤ من سورة عبس.

(٥) الآية ١٧ من سورة الغاشية.

وظهرت مدارس أو مذاهب كلامية (الأشعرية)، (الماتريدية)، (المعتزلة)، (السلفية)،... إلخ. وصارت مساجلات كلامية أخطرها الخوض فى ذات الله - ﷻ - خاصة ما يتعلق ببعض (صفات) جاءت بالنظر إلى سياق النص لدلالات على غير ما جنح إليه من جنح، مثل (اليد) و (الوجه) و (العين) و (الاستواء) وانقسم الناس فى تناولها - على خلاف منهج القرآن والسنة - إلى فريقين:

فريق نفى الحقيقة اللفظية لهذه الصفات وعمل على تأويلها بما يتفق مع ما يجب لله - ﷻ - من جلال، وهم كما قال شارح الطحاوية: أحسنوا فى تنزيه الخالق - سبحانه - عن التشبه بشىء من خلقه ولكنهم أساءوا فى نفى المعانى الثابتة لله - تعالى - فى الأمر نفسه.

وفريق أثبت الحقيقة اللفظية لهذه الصفات غير أنهم قالوا لا تشبه صفاتنا!! وهؤلاء - قال عنهم شارح الطحاوية كذلك - مشبهة أحسنوا فى إثبات الصفات ولكنهم أساءوا بإثبات التشبيه!!.

والفريقان الآن فى صراع محموم، فالأول ينعت بالأشاعرة وجهات نظرهم فى معظم كتب التفسير التراثية وشروح الأحاديث النبوية، وعلم الكلام بالمعاهد والكليات الجامعية المتخصصة ويسمون أنفسهم (أهل السنة)!، والثانى ينعت (بالوهابية) وجهات نظرهم فى كتيبات ووسائل مسموعة فى خطب وأشرطة بجمعيات ثقافية ببعض دول الخليج العربى ومصر ويسمون أنفسهم (سلفية)!

الحق الذى يجب المصير إليه أن الفريقين حادا عن العقيدة وجنحوا إلى علم الكلام وأن ادعى واحد منهما سيره على منهج صدر الأمة!!.

وحسنًا فعل أستاذنا الدكتور / محمد المسير - رحمه الله تعالى - حين نعى على الذين يخوضون فى الصفات ويجعلونها أساس الدين ومحور العقيدة [1]، خاصة من سعى لجعل الألفاظ مقصودها تحديد (أعضاء) و (أجزاء) للذات الإلهية من: عين أو عيون، يد و يدين أو أيدى، وأصابع، وكف، وساق، ورجل، وضحك، وفرح، وغيره، وحب، وكره..... إلخ.

لو احتكم الفريقان إلى دلالة اللغة وسياق النص الواردة فيه خاصة الفريق الثانى المشبهة لعرفوا أن خطأً فادحًا يكتنف أقاويلهم، فعلى سبيل المثال:

قول الله - ﷻ - ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[2]، (تجرى بأعيننا) هل جاءت لإثبات (عيون) لله - سبحانه وتعالى - أم للرعاية والعناية؟.

وقول الله - جل شأنه - ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[3] هل لإثبات (يد) أم لتأكيد بيعة الرضوان؟ وهكذا لو تدبر هؤلاء: -

المعنى اللغوى والسياق فى النص، لعرفوا أن معانى أخرى غير ما يتقولون ويهرفون به، وينسبونه إلى رسول الله - ﷺ - وأصحابه - رضي الله عنهم - ليلبسوا على الناس ما يلبسون!!

منهج العقيدة غير منهج علم الكلام، وعدم الخوض إثباتا أو نفيًا لقدس الأقداس (ذات الله - تعالى - والبحث فى ذات الله إشراك،

(١) مجلة التبيان العدد ٢٣.

(٢) الآية ٤٨ من سورة الطور.

(٣) الآية ١٠ من سورة الفتح.

والعجز عن الإدراك إدراك) ما ننبه إليه شـباب حائر تائه شـارد بين مذاهب علم الكلام (أشاعرة ووهابية).

الإيمان (العقيدة)

بعيدًا عن مذاهب عقائدية غلبت رؤية اجتهادية فى بعض فروع ركن الإيمان وتحدثت وتعرضت لرؤية مجتهديها فى أصول وفروع لجدل عقيم لا يعطى صورة صحيحة سليمة لما يجب من عرض الإيمانيات عرضًا مبسطًا ميسرًا بعيدًا عن مجادلات أشاعرة وماتريدية ومعتزلة وصوفية ووهابية إلخ، بل عرض قرآنى ونبوى من عصر الرسالة الخاتمة، والإيمانيات لها ستة أركان فإليها بأدلة الشرع مجردة عن فهم أئمة وأشياخ مذاهب!

الإيمان بالله - وجل -

قال الله - سبحانه - ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[1]، ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[2].

إيمان بإله ربَ له صفات الجلال والكمال والجمال:

موجود لا شك فيه، واحد لا من عدد، أول لا ثانى له، حاضر لا يغيب، عالم لا يجهل، قادر لا يعجز، حى لا يموت، قيوم لا يغفل، قديم بغير وقت، آخر بغير حد، أسماؤه وصفاته وأنواره غير مخلوقة له ولا منفصلة عنه، ليس محلا لغيره، وما عداه ليس محلا له، متفرد بنفسه، متوحد

(١) الآية ١٩ من سورة محمد.

(٢) الآية ١٤ من سورة هود.

بأوصافه، ليس فى ذاته سواه. ولا فى سواه من ذاته شىء، إله حق، معبود بحق، خلق كل شىء بعلمه وإرادته وقدرته، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، أوجد وأفنى، أمات وأحيا، أسعد وأشقى، أعطى ومنع، أغنى وأفقر، الكون ملكه، والوجود خلقه، والأمور تدبيره، البدء منه، والمصير إليه، لا يخرج شىء عن ملكه، ولا يعزب مثقال ذرة عن علمه، وكل شىء عنده بمقدار (له الأسماء الحسنى) و (الصفات القدسية) التى تشعر بالوجود وتدل عليه، وتميزه عما عداه، ويتبين عن منزلته ومكانته.

تميز الإسلام أن مفهوم (الإله) يخالف المفهوم الشائع فى شتى المعتقدات المنسوبة إلى السماء لأنها لم تبق العقيدة على الوصف الذى جاء بها رسلها - عليهم السلام - بل بدلت وغيّرت مما هو معروف فمنها من يرى (إله) قومى يصطفى عنصرًا على حساب آخرين، لا يرى مكان اختباء آدم - عليه السلام - فى الجنة عقب أكله من الشجرة[1]! ويصارع يعقوب ويغلبه يعقوب ويخلع فخذه!! ومنها من يرى (إله) متوحد من أقانيم متعددة، حل بالغير وحل الغير به، واختلفت مذاهب فى صفة الطبيعة للإله المتوحد هل طبيعتين أم طبيعة واحدة[2]!، أو الوضعية التى تضفى على الإله صفات نقائص أدنى من صفات البشر مع جعل تخصصات لعدة آلهة، فهذا للخير وذاك للشر وهذا للحب وآخر للحرب، وهذا للمطر وذاك للخصيب إلخ!! وغيرها يعتقد ألوهية مخلوقات النار وكواكب ونجوم مثل الشمس مما هو معروف فى التاريخ الإنسانى آلاف من آلهة مزعومة، لا تمت بصلة للمفهوم الحقيقى للألوهية!

---

(١) العهد القديم - سفر التكوين - الإصحاح الثالث ٨: ١٢.

(٢) إنجيل مرقس (١)، لوقا (٢٢)، رسالة بولس إلى أغلاطية ٦/١٨، ٣/٧ وما بعدها رسالة بطرس الأولى بشموتاوس الإصحاح الأول والثانى.

مفهوم (الإله) فى الإسلام له قواعد راسخة واضحة أهمها:

أ – الله – سبحانه – له صفات الكمال والجلال والجمال، والأصل فيها ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾[1]، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2]

وصفات الله – ﷻ – سواء صفات الذات كوصف الله – سبحانه – أنه قديم، ملك، جليل، عزيز، حى، قادر، مريد، سميع، بصير متكلم، باق، أو صفات الأفعال: وهى تسميات مشتقة من أفعاله، ورد النص الشرعى بها، مثل، خالق، رازق محى، مميت[3].

وصفات الجلال مثل: قهار، جبار، منتقم...، وصفات الكمال: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، وصفات الجمال: الرحمن، الرحيم، اللطيف...، كلها تدل على تفرد الإله الحق.

ب – تنزيه الله – جل شأنه – عن كل نقص، فهو لا يشبه غيره، ولا يشبهه سواه، محيط بكل شىء، حافظ راع لكونه.

---

(١) الآية ١٨٠ من سورة الأعراف.

(٢) الآيات من خواتيم سورة الحشر الآية ٢٣، ٢٤.

(٣) الاعتقاد والهداية للبيهقى ٧٠ وما بعدها.

إن مفهوم (الإله) فى الإسلام من خلال النص القرآنى والنبوى تقبله الفطرة، ويتفق والمنطق، وتستوعبه المدارك، لا طلاسم، لا تعقيدات، بل بساطة ووضوح وأيسر طريق لإقناع.

إلــه رب مالك ملكًا حقيقيًا تامًا، مســتحق للتقديس والعبادة، يملك أمــور العالم، يملك الحياة والمــوت، لا حدود لقدرته، لا منتهى لعلمه، لا ســقف لإرادته، واحد فى ذاته، واحد فى أفعاله، واحد فى صفاته، أول بلا ابتداء، آخر بلا انتهاء، قائم على كل نفس بما كسبت.

جـ - التحرر من وســاطة وســطاء: الله - سبحانه وجل شانه - قريب نلجأ ونتضرع إليه وندعوه دون واسطة سواء كانت الواسطة نبى أو ولى أو عــالم ديــن حى أو ميت، قال الله - ﷻ - ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[1]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[2].

فــلا توجــد وكالة ولا نيابة عن الله - ﷻ - ولا تفويض منه - جل شأنه - لأحد مهما كان وصفه واسمه، لأنه لا يوجد فى الإسلام امتيازات تمنح لأحد، فالناس سواسية ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[3].

د - الله حاضــر لا يغيــب: الخير والشــر، النفع والضــر، الجزاءات الدنيوية والأخروية كلها لله - ﷻ -، الخلق خلقه، الملك ملكه، الكون كونه، بيده الملك وهو على كل شــىء قدير، فعّال لما يريد، بكل شىء محيط، قائم على كل نفس بما كسبت.

(١) الآية ٥٥ من سورة الأعراف.

(٢) الآية ١٨٦ من سورة البقرة.

(٣) الآية ١٣ من سورة الحجرات.

الله الرب الخالق الموجد المريد، العالم ما سواه، خلق من خلقه رهن مشيئة، أثر قدرته، لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعًا ولا ضرًا.

يقيم الإسلام مفهومه الحق للإله بسبيل الإقناع الفعلي أساسًا من الدعوة للتفكر والتدبر في عجائب المخلوقات: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[1]، ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾[2]، ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾[3] ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١٩ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[4]، ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[5].

الكون بما فيه من سموات وأرض وأحياء وأشياء، وما يحدث فيها من أحداث، كلها مخلوقة لم توجد نفسها، ولم توجد من العدم المطلق من غير شيء، وإنما أوجدها الله - ﷻ -: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾[6]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾[7] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾[8]

(١) الآية ٢١ من سورة الذاريات.

(٢) الآية ٢٤ من سورة عبس.

(٣) الآيات ١٧ وما بعدها من الغاشية.

(٤) الآيات ١٩، ٢٠ من سورة العنكبوت.

(٥) الآية ١٠١ من سورة يونس.

(٦) الآية ٣ من سورة النحل

(٧) الآية ١٠١ من سورة الأنعام.

(٨) الآية ٣٣ من سورة الأنبياء.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[1] ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2]، ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[3]، ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾[4] وآى القرآن الكريم فيما سوى ذلك كثيرة غزيرة مستفيضة[5].

هذا جزء من كل، قليل من كثير، مما أفاضت به النصوص الشرعية فى مفهوم الإله الخالق المريد العالم القادر العظيم له صفات جلال وكمال وجمال، جل شأنه حاضر لا يغيب، لا يشغله شىء عن شىء، حقًا وصدقًا ويقينًا ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[6].

ومن الخلط فى المفاهيم: عدم فقه مصطلح «بدعة» و «مصلحة مرسلة» وعدم فهم دلالات «تروك سيدنا رسول الله - ﷺ - «وكفر نعمة» و «كفر عقيدة» و «كفر أصغر» و «كفر أكبر» والشرك الحقيقى والمجازى!!، والخلط

(١) الآيات ٢ من سورة الفرقان.

(٢) الآية ١٦٤ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٥٣ من سورة فصلت.

(٤) الأية ٨٨ من سورة النمل.

(٥) مثل الآيات القرآنية: الآيات ١٩ وما بعدها من سورة الحجر. الآية ٧٩ من سورة النحل. الآيات ١٦ وما بعدها من سورة الأنبياء.

(٦) الآية ١٩ من سورة محمد.

بين أصول وفروع، وكليات وجزئيات، وعبادات وعادات، وبين «ثوابت» ومتغيرات أدى الخلط من متعالمين ومتغابين إلى الجرأة على «التكفير» حتى فى داخل التيار نفسه!، وإلى تحريم ما أصله الحل، ويتصدر التيار السلفى الصدارة فى هذا المضمار فالأصل فى أدبياتهم «الأصل فى الأشـياء الحرام» على خلاف«الأصل فى الأشياء الإباحة»!

وهاك قائمة من مفاهيم مغلوطة:

أدبيات «سلفية» معاصرة

آراء وفتاوى ومواقف للمتسلفة، خارجة عن الرواية المقبولة، والدراية المعقولة، من مرجعياتهم منها:

- الأرض ثابتة لا تدور[1].
- التوسل بجاه النبى محمد - ﷺ - من وسائل الشرك[2].
- الذبح عند الأضرحة شرك [3].
- سب الدهر شرك أكبر [4].
- تسخط المصاب بمصيبة كفر[5].
- الاستواء العلو والارتفاع فوق العرش[6].

---

(١) كتاب الأرض ثابتة لا تدور، نشر مكتبة النهضة المصرية.

(٢) مجموع فتاوى ومقالات لابن باز ٥ / ٣٢٢.

(٣) المرجع السابق ٥ / ٤٢٣.

(٤) مجموع فتاوى ورسائل لابن عثيمين ١ / ١٩٧.

(٥) المرجع السابق ٢ / ١٠٩.

(٦) المرجع السابق ١ / ١٣٢.

- القول بعدم تكفير اليهود والنصارى كفر[1].
- التوسل بالنبى – ﷺ – فى حياته وبعد مماته بدعى لا يجوز[2].
- تعظيم السلام أو العلم الوطنى ذريعة إلى الشرك [3].
- تحية الجندى المصرى لرؤسائه!!؟ لا يجوز[4].
- الحكم بغير ما أنزل الله – تعالى – مع اعتقاد مشروعيته كفر أصغر[5].
- لا عذر فى الجهل بالشركيات[6].
- تحديد نوع الجنين دعوى كاذبة[7].
- لا يجوز السفر خارج الدول الإسلامية [8].
- لا تجوز الإقامة فى بلاد الكفار[9].
- تهنئة الكفار حرام[10].
- لا يجوز السلام على الكافر[11] – ولو كتابًا من اليهود والنصارى –
- ولاء المؤمنين وبغض الكافرين[12].

---

(١) المرجع السابق ٣ / ١٨.

(٢) فتاوى العقيدة لابن عثيمين ص ٢٧٧.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء ص ١٤٩.

(٤) المرجع السابق ص ١٥٠.

(٥) فتاوى اللجنة الدائمة ص ٤٥٠، وفتاوى ابن جبرين.

(٦) اللؤلؤ المكين من فتاوى ابن جبرين ص ٥٦.

(٧) فتاوى إسلامية لعلماء السعودية ١ / ٣٧.

(٨) المجموع الثمين لابن عثيمين ١ / ٤٩.

(٩) المرجع السابق.

(١٠) فتاوى ابن عثيمين.

(١١) المرجع السابق، والمجموع الثمين لابن عثيمين ٢ / ٩٧.

(١٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز ٥ / ٢٤٦، ومجموع دروس فتاوى الحرم المكى لابن عثيمين ٣ / ٣٥٧.

- الذهاب للكنيسة لإظهار التسامح لا يجوز[1].
- دخول الكنيسة لا يجوز[2].
- يجب نبش القبور ونقل رفاتها من المساجد، ويجب هدم القبور القديمة وإزالة المسجد لأنه شرك[3].
- الصلاة فى المسجد الذى فيه قبر باطلة[4].
- وجوب أداء الصلاة فى الجماعة[5].
- عيد الأم حرام وبدعة[6].
- عيد الميلاد بدعة[7].
- المولد النبوى حرام[8].
- الاحتفال بالإسراء والمعراج حرام[9].
- قول (صدق الله العظيم) لا أصل له[10].
- لا يجوز قصد زيارة قبر النبى - ﷺ -[11].

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ٢ / ٧٥.
(٢) المرجع السابق ٢ / ٧٦.
(٣) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٢ / ٢٣٤.
(٤) فتاوى مهمة تتعلق بالصلاة لابن باز ص ١٧.
(٥) تبصرة وذكرى لابن باز ص ٥٣.
(٦) نور على الدرب لابن عثيمين ص ٣٤.
(٧) مجموع فتاوى ومقالات لابن باز ٤ / ٨١.
(٨) مجلة المجاهد العدد ٢٢ لابن عثيمين.
(٩) التحذير من البدع لابن جبرين ص ٢٣.
(١٠) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ٧ / ٣٢٩.
(١١) فتاوى فى التوحيد لابن جبرين ص ٢٣.

- المصافحة عقب الصلاة بدعة[1].
- لا يجوز ركوب المرأة السيارة مع غير محرم[2].
- النقاب للنساء فرض[3].
- لا تجوز الدراسة فى جامعات مختلطة[4].
- لا يجوز للمرأة قيادة السيارة[5].
- الأصل تعدد الزوجات[6].
- حفلة الخطوبة محرمة[7].
- تحريم اتخاذ الصور[8].
- تحريم التصوير بالآلة[9].
- تحريم إطالة الثياب للرجال ولو بحكم العادة[10].
- إزالة الشعر من جسد المرأة حرام ولو من الحاجبين[11].
- تحريم صبغ الشعر بالسواد[12].

---

(١) فتاوى إسلامية لابن باز ص ١٧٩.

(٢) فتوى لابن عثيمين.

(٣) المرجع السابق.

(٤) دروس وفتاوى فى الحرم المكى لابن عثيمين ص ٣١٥.

(٥) مجموع الفتاوى لابن باز ج٣.

(٦) مجلة البلاغ العدد ١٠١٥ لابن باز.

(٧) فتوى لابن عثيمين.

(٨) كتاب الدعوة لابن باز ص ١٨.

(٩) فتوى لابن عثيمين.

(١٠) الدعوة لابن باز ص ١٢٨، ورسالة صفة صلاة النبى - ﷺ - لابن عثيمين ص ٣٢.

(١١) نور على الدرب لابن عثيمين ص ٤٧، وفتاوى ابن عثيمين ٢ / ٨٣٠.

(١٢) مجلة البحوث ج ٢٧ لابن باز.

- تصوير المحاضرات بالفيديو فيه توقف والأولى تركه[1].
- لا يجوز العمل فى البنوك ولا معاملتها[2].
- الغناء حرام ومنكر[3].
- لا يلزم القيام للقادم[4].
- القول بحرية الفكر كفر[5].
- لا يجوز تقبيل القرآن الكريم[6].
- الإيمان ليس مجرد التصديق[7].
- يكفر المعين كمن يتوسل بالقبور[8].
- بدعة الاحتفال بشم النسيم[9].
- بدعة الاحتفال بليلة النصف من شعبان[10].
- لا يجوز للمرأة لبس البنطلون [11].

---

(١) المرجع السابق عدد ٤٢ ص ١٦١ لابن باز.

(٢) كتاب الدعوة لابن باز، وفتوى ابن عثيمين ج ٢.

(٣) مجلة الدعوة العدد ٩٠٢.

(٤) مجموع فتاوى ابن باز ٣٩٤/٤.

(٥) مجموع فتاوى ورسائل لابن عثيمين ٩٩/٣

(٦) مجلة البحوث العدد ٤٥، اللجنة الدائمة ص ٩٦.

(٧) مجموع الفتاوى ص ٢٨٨.

(٨) فتوى اللجنة الدائمة رقم ٩٣٣٦.

(٩) مجلة التوحيد التى تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية(الوهابية)فى مصر العدد ٤٤٨

(١٠) المرجع السابق العدد ٤٥٢.

(١١) المرجع السابق العدد ٤٥١.

بخلاف فتاوى تعد أصولاً لسلفية مثل:-

- يحرم الخروج على الحاكم ولو ظالمًا.
- غير العقيدة السلفية زيغ فى العقيدة وفساد
- حـرق كتـب الأئمة النـووى وابن حجر - رحمهمـا الله تعالى - وغيرهما
- تحريم العمل السياسى كالمجالس النيابية والأحزاب[1].
- جماعات الإخوان والتبليغ فيها نظر.
- التصوف والفلسفة والمنطق علوم كفرية وشركية.
- العقيدة الأشـعرية للسـواد الأعظم من المسـلمين فى العالم وعلى رأسها الأزهر شرك مطلق.!!
- عبّاد الأصنام والأوثان مشركون فى قسم وموحدون فى قسم كأبى جهل وأبى لهب!
- زائرو قبور الأنبياء والرسل - عليهم السلام - والأولياء - رضي الله عنهم - شرك مطلق!!
- يجب تغيير المنكر باليد!
- هذه المسـائل تعد عند السـلفية أصولًا لا تقبل اجتهادًا، ومن قال بغيرها «كافر» و «مشرك»، و «زائغ وفاسد العقيدة».

وهذه المسـائل عند السـلفية الدعوية، أما عند غيرها - الجماعات السلفية المعاصرة بلغت عشرات الفصائل - من السلفية الحركية والسلفية

(١) بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م فى مصر، كونت الجماعات السـلفية عدة أحزاب وقدموا مرشحين للبرلمان، وأوقفوا العمل بكلامهم السابق، وخالفهم نفر قليل منهم.

الجهادية فاستحلال الدماء والأعراض والأموال، وتكفير المجتمع المسلم واضح وضوح الشمس فى عالية النهار!!.

وتأتى آراء خارجة عن الرواية المقبولة والدراية المعقولة، بمسمى (فتاوى) لتشغب على الدين الحق على سمعته ورسالته ومكانته وجوهره ومقاصده، ويساعد الإعلام المتاح لجماعات تمارس أعمالاً دعوية وإعلامية لترويج بضاعة فاسدة للوهج الإعلامى لأشياخ وعظ وتفسير أحلام ووصفات أعشاب وإغراق فى غيبيات لنعيش واقع (الرويبضة: الرجل التافه يتلكم فى أمور العامة) و (غثاء كغثاء سيل) ويتلوه لاحقًا (غربة الإسلام) إن لم يكن بدأت طلائعه السوداء!!.

تراث موروث

يعنى بالتراث ما دون ما قبل ثلثمائة سنة على الأقل فى العلوم الإسلامية، وتحوطه ظروف مصنفه فيما يعرف بأحوال دينية وسياسية واقتصادية واجتماعية وعلمية تؤثر فيه.

والتصانيف التراثية فهم بشرى لنصوص ومعطيات شرعية - غالبًا - وهى معبرة عن حقبات ومراحل فى تاريخ الأمة المسلمة، والأعمال البشرية - عدا المعصومين وهم سادتنا الأنبياء والرسل - عليهم السلام - يعرض فيها «الصواب» و «الخطأ» و «الحق» و «الباطل» وبالتالى لا قداسة فى العمل العلمى السليم للمنتج التراثى بحال من الأحوال.

ويأتى الاجتراء والاستشهاد الخاطئ، والتبرير السيىء، فى جعل التراث له قوة النص الشرعى، أو جعله مكون أساسى فى عمليات تعليمية لا يناسبها وبالمثال يتضح المقال:

- معاملة «أهل الكتاب» فيما يتصل بمعاملات تجاههم.
- الرق وما يتصل به.
- بعض أوضاع المرأة.
- مرويات تاريخية.
- مسائل فى الجهاد.
- مسائل فى فقه الأسرة.
- مساجلات ومجادلات بين أئمة علم.

وحـوى التراث من مرويات منسـوبة إلى «الحديث» تدخل فى باب «الموضوعـات» وبعض ما يناقض المنقول والمعقـول من قصص وحكايات معلولة تدخل فى باب «الإسرائيليات» ووجود «متون» و «شروح للمتون» لتفريعات عديدة!.

بطبيعـة الحال ليس الـتراث كله هكذا بل بعضه، مما يسـتوجب جهودًا للتنقية إما بالتحقيق العملى السـليم، وإما بجعل ما يحتاج إليه مـن تراث يدخل فى عملية «مختارات» على ما سـيأتى تفصيله ومكمن الضرر لجوء معظم المشـتغلين بأعمال علمية تعليمية أو دعوية خاصة فى مذاهب وتيارات إلى الاستشـهاد كحاطب ليل إلى تراث على أنه مستند شـرعى لا تجوز مخالفته ولا الطعن فيـه، بل إن أعمال تحقيق التراث تجعل النص الأصلى له قدسية عدم المساس به وإن كان من تعليق يكون على اسـتحياء فى هامش وكثير من معلومات تراثية فى علوم إسـلامية تتخذ استدلالاً لدى مغالين.

ويلاحظ أن التعصب المذهبى من أسسـه الـتراث إما للمصنف الذى صـار يعـرف الحق به، وإما إلى من صنفه، ونظرة إلى أدبيات «شـيعة»

و«سنة» و «إباضية» فهم لا يخرجون عن حدود تراث سطر فيما يزيد على أربعمائة سنة فما فوق ولا يزال بصوابه وخطأه مرجعية معصومة!.

غياب أخلاقيات التعليم والدعوة

كان التعليم والدعوة عملًا دينيًا يتقرب من يقوم به إلى الله – عز وجل –، ثم تحولا إلى «صناعة وحرفة» ثم إلى مهنة لها آلياتها المسطورة وغيرها، ثم حدث الارتداد عن مهنة الكثير من الأخلاقيات، كل هذا أوجد أزمة ما بعدها أزمة، ولمزيد من التوسع فإلى السطور التالية.

أزمة الدعوة الإسلامية المعاصرة

صدحا بالحق، وغيرة على صحيح الدين الحق، وتبيانًا لأخطار ومضار التعصب المنسوب إلى الدين، وممارسات العنف الفكرى حاليًا، والعنف المسلح المرتقب حاضرًا ومستقبلا، تأتى هذه التذكرة المخلصة لأذن واعية لمن يهمه الأمر تشخيصًا لداء ووصفًا لدواء، والله وحده المستعان.

- نصوص الشرع المطهر القاضية بتحريم وتجريم تفرق المجتمع إلى طوائف وعصبيات منسوبة إلى الدين منها قول الله - ﷻ - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[1]، وقول سيدنا محمد رسول الله - ﷺ - (ليس منا من دعا إلى عصبية).
- احتكار تيار أو فرقة الحق والصواب، وتخطئة من سواها، واستدلال فاسد واستشهاد سقيم لنصوص شرعية، لتبرير مذهبية والسعى الحثيث لصبغ المجتمع بها كالشيعة الإمامية الإثنا عشرية، والسلفية بفرقها الدعوية والحركية و الجهادية، وممارسة عمل سياسى قلبًا وقالبًا تحت غطاء دينى كالإخوان المسلمين، وفرق الانقلاب على صحيح الدين الحق مثل البهائيين ومنكرى السنة النبوية وعبدة الشيطان وغيرهم..، كل هؤلاء ومن يماثلهم ويناظرهم ويشابههم يعتدون على الدلالات السليمة الصحيحة للنصوص الشرعية والمبادئ

(١) الآية ١٥٩ من سورة الأنعام.

والمقاصد العامة للشـريعة الإسلامية، لإعلاء أدبيات أجندات، وهذا كله ولَّد عنفًا فكريًا سـبب حيرة وبلبلة لدى عوام وبسـطاء الناس، وصارت مساجد ومعاهد ووسائل اتصالات تشهد مجادلات ومهاترات ومصادمـات وما يندى له الجبين، وتحول العنف الفكرى إلى العنف المسلح ويظهر هذا جليًا فى التنظيم السرى للإخوان وتدريبات الناشئة على فنون الدفاع والهجوم لأمور جهادية مسـتقبلية (الكراتيه وغيره نماذج) والسـلفية الجهاديـة (القاعدة وطالبان والسـلفية الجهادية بالجزائر نمـاذج) والجماعات الجهادية (الإسـلامية وغيرها أمثلة) وتأتى ممارسـات هؤلاء بما يمتلكون من وسائل اتصالات مثل قنوات فضائية للشيعة والسلفية والإخوان، والدعم المالى الهائل من مراكز فى الخليج العربى باليد مباشـرة بواسطة التزاور التبادلى لمصالح إقليمية وما لا يعلمه إلا الله - ﷻ - من إجهاض عمل مؤسسـات تعليمية و دعوية تخصصية ذات خبرة ودربة فى حسـن فهم علوم الإسـلام كالأزهر الشـريف و الأوقاف لإقصاء علماء ودعاة راسـخين وإحلال رمـوز هـذه الجماعات الذين صارت لهم قداسـة فـى نظر مقلديهم (مرشـد الإخوان، وأشياخ موطن النشأة السلفية بالسعودية، وأشياخ فضائيات للسـلفية والشيعة) جاوزت المقبول والمعقول، وصارت آراء هـؤلاء ومعظمهـا خاطئ لافتقـاره إلى الآلية العلميـة المعتمدة وعدم تخصصهم العلمى (معظمهم بعيد كل البعد عن مبادئ وأوليات العلوم الشرعية) صارت الآراء لها قوة النص الإلهى.!!!

إذا علم هذا: - فإن الدعوة الإسـلامية تشـهد أزمة تعود سـلبًا عن

وجـوب الإبلاغ لعموم الخلق قال الله - ﷻ - ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1]، وقـول سـيدنا رسول الله - ﷺ - (بلغوا عنى ولو آية).

ومن ظواهر أزمة الدعوة الإسلامية:-

أولا: الصراع المحتدم بين مؤسسـات دعوية معتمـدة الأوقاف والأزهر من جهة ومؤسسـات دعوية أهلية لها أدبيات وأجندات وأهداف مذهبية (السـلفية) وطائفية (الشيعة) وسياسية (الإخوان). وتسعى كلها لصبغ المجتمع بمبادئها وإقصاء الآخر وإضعافه بشتى السبل والوسائل المشروعة وغير المشروعة.

ثانيًا: الأداء المهنى شـبه الصورى الفاقد لروح رسـالة الدعوة الحقة من مؤسسـات دعوية رسمية كالأوقاف، غالبًا والتذرع بأسباب واهية على خلاف الحقيقة، واستقطاب تيارات مذهبية وسياسية لبعض دعاة مما يعود سلبًا على سلامة العمل الدعوى.

ثالثًا: فقدان أهلية الدعوة وعشـوائية الأداء، وعدم وجود آلية منضبطة للوسـائل ولا للمقاصد، بالإضافة إلى شبه الأمية الدينية لتصدرى الدعـوة من ضحالة علمية وعدم الفقه السـليم بالأدلة واسـتنباط الأحكام بقواعدها العلمية المعتمدة.

رابعًا: شـيوع المذهبية وحصر وقصر الدين فـى إطار مذهبى ورفض ما سـوى المذهب وتقديمها على النص الشرعى!! ويظهر هذا فى اتجاه (الرأى الواحد) لشيعة وسلفية.

(١) الآية ٣٣ من سورة فصلت.

خامسًا: عدم الاستفادة من مؤسسات علمية معتمدة فى رسم الخطط والوسائل والمقاصد الدعوية مثل كلية الدعوة وأقسام الدعوة بكليات أصول الدين والمجامع والمجالس العلمية ذات العلاقة وشعب التربية الإسلامية فى كليات التربية، والانفصام المروع بين أجهزة وتآكلها بدلاً من تكاملها.

سادسًا: طغيان الوهج الإعلامى فى المقدم والمتلقى مما يجعل المقدم شغوفًا بظهوره الإعلامى ويعود هذا سلبًا على حسن الأداء من سطحية وعشوائية والاعتماد على أن الحق يعرف بالرجال، لا أن الرجال يعرفون بالحق! ويرسخ فى وجدان المتلقى خاصة فى الإعلام المرئى قداسة للداعى - إن صح التعبير - دون الاعتداد بحقيقة ما يدعو إليه وصار تقديس الرموز لدى الشيعة والسلفية لا يحتاج لبراهين.

❑❑❑